الكتب
القرآن الكريم

س - قد أخبر الله تعالى أن أهل الكتاب حرفوا الكتب المنزلة على الأنبياء، بل إن بعضهم استبدل بها كتبا وضعوها، وبحمد الله مرت قرون طويلة على نزول القرآن الكريم، وحاول الأعداء أن يحرفوه فعجزوا، فما هو السر فى ذلك ؟

جـ - جاء فى شرح الزرقانى على المواهب اللدنية « ج٥ ص٢٥٢ » أن حفظ القرآن من التبديل والتحريف كان بسبب أن الله هو الذى تولى حفظه وصيانته، أما الكتب الأخرى فحرفت وبدلت لأن مسئولية حفظها كانت على أهلها فقصروا، قال تعالى عن القرآن الكريم: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر:٩] وقال: ﴿ **لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت:٤٢] وقال عن الكتب السابقة ﴿ **بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ** ﴾ [المائدة:٤٤].

وذكر الزرقانى أيضا ما رواه البيهقى عن يحيى بن أكثم أن يهوديا دخل على المأمون فأَحْسَنَ الكلام، فدعاه إلى الإسلام فأبى، ثم بعد سنة جاء مسلما فتكلم على الفقه فأحسن الكلام، فسأله المأمون ما سبب إسلامه فقال : انصرفت من عندك فامتحنت هذه الأديان فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة فاشتريت منى، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة فاشتريتْ منى، وعمدت إلى القرآن فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الوراقين فتصفحوها

فوجدوا فيها الزيادة والنقصان، فرموا بها فلم يشتروها، فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامى . قال يحيى : فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له هذا فقال : مصداقه فى الكتاب، قلت فى أى موضع؟ قال : فى قوله تعالى فى التوراة والإنجيل: ﴿ **بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ** ﴾ [المائدة:٤٤] فجعل حفظه إليهم وقال: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر:٩] فحفظه الله علينا فلم يضع .

س - ما معنى خَلْق القرآن ؟

جـ - ظهرت فتنة خلق القرآن فى زمن الدولة العباسية، فكان هناك معسكران، أحدهما لأصحاب الكلام من المعتزلة الذين يقولون بخلق القرآن، ويكفِّرون من لا يقول به، لأنهم ينكرون صفة الكلام لله ، ويقولون : إن الله سبحانه وتعالى إذا أراد الكلام خلقه فى شجرة أو نحوها، بل إنهم ينكرون صفات المعانى لله، كما تقرر ذلك فى علم التوحيد، لأنه ينبنى عليها تعدد القدماء فى رأيهم، والقول بذلك كفر، ولهم مذهب معروف يرجع فى جملته إلى قاعدتين هما : العدل، التى من فروعها مسألة الحسن والقبح وخلق الأفعال . والتوحيد، التى من فروعها إنكار صفات الله، ويتفرع عنها القول بخلق القرآن .

والمعسكر الثانى لأصحاب الحديث الذين تشددوا فكفَّروا من قال بخلق القرآن، لأنه كلام الله، وكلام الله غير مخلوق لأنه صفته، وصفات الله قديمة، وكان الإمام أحمد بن حنبل يمثّل هذا الاتجاه، وأوذى إيذاء شديدا .

يقول الباحثون : جاء بعد ذلك من وفَّق بين المعسكرين، وفرق بين الكلام النفسى والكلام اللفظى، وعلى رأسهم أبو الحسن الأشعرى ثم الغزالى وغيرهما . ويمكن الرجوع إلى كتب التوحيد، وإلى مقال الشيخ محمود النواوى فى مجلة الأزهر (المجلد ٢٥ ص٣٢٣) وإلى كتاب « حياة الحيوان الكبرى » للدميرى فى كلامه عن الدولة العباسية .

س - ما هو النسخ وهل حصل فى القرآن ؟

جـ - النسخ وهو انتهاء حكم شرعى بطريق شرعى، على بعض تعريفاته الاصطلاحية، أجمع المسلمون على جوازه وعلى وقوعه . وجاء به القرآن والسنة، قال تعالى : ﴿ **مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا** ﴾ [البقرة:١٠٦] وقال ﴿ **وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ** ﴾ [النحل:١٠١] وقال : ﴿ **الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً** ﴾ [الأنفال:٦٦] وقال ﷺ : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها » (رواه ابن ماجه بإسناد صحيح) وأنكره اليهود زاعمين أنه بداء كالذى يرى الرأى ثم يبدو له، وزعمهم باطل لأن النسخ بيان لمدة الحكم وهو تغيير يملكه الله تعالى كالصحة بعد المرض والعكس .

وقد وفى العلماء بحوثه من حيث اختصاصه بالتكاليف دون الأخبار، وجواز وقوعه قبل الامتثال أو بعده. ونسخ الفرض بالفرض والندب، والعكس، ونسخ التلاوة والحكم أو أحدهما، والحكمة فى ذلك. كما بحثوا نسخ القرآن بالسنة والعكس، والدليل الذى يعرف به النسخ، وغير ذلك من البحوث المتعلقة به، وبخصوص النسخ بين القرآن والسنة، فقد اتفقوا على جواز نسخ القرآن بالقرآن، ونسخ السنة بالسنة، أما نسخ القرآن بالسنة فمنعه جماعة مستدلين بقول الله تعالى : ﴿ **مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا** ﴾ [البقرة:١٠٦] والسنة لا تكون مثل القرآن ولا خيرا منه، وقوله: ﴿ **قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ** ﴾ [يونس:١٥] وقال آخرون بنسخ القرآن بالسنة أيضا، لأنها من عند الله كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [النجم:٣ ، ٤] وقال : ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾ [النحل:٤٤] على أن المراد بالذكر هو السنة. فالسنة بذلك مثل القرآن أو خير منه، لأنها من عند الله . كما قال جماعة آخرون : ينسخ القرآن بالسنة إذا كانت بأمر الله عن طريق الوحى، أما إن كانت باجتهاد

من الرسول فلا . يقول الشافعى : حيث وقع نسخ القرآن بالسنة . فمعها قرآن عاضد لها، وحيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له، ليتبين توافق القرآن والسنة .

إن نسخ القرآن بالسنة هو الرأى الأقوى، لقول الله تعالى - إلى جانب النصين السابقين - ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [الحشر:٧] وقوله: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور:٦٣] وقوله: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ** ﴾ [النساء:٦٥] إلى غير ذلك من النصوص التى تثبت حجية السنة، وقد أجمع المسلمون على أن القرآن إذا نزل بلفظ مجمل ففسره الرسول وبينه كان بمنزلة القرآن المتلو، فكذا سبيل النسخ، ومنه نسخ جلد الزانى المحصن بالرجم الذى جاءت به السنة، إما ابتداء وإما تطبيقا للآية التى نسخت تلاوتها من سورة الأحزاب كما يقول بعض العلماء وهى «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالا من الله والله عزيز حكيم» [يقول السيوطى فى الإتقان ج٢ ص٢٦ فى حكمة نسخ التلاوة دون الحكم، إنها للتخفيف عن الأمة بعدم اشتهار تلاوتها وكتابتها فى المصحف لأن الرجم أثقل الأحكام وأشدها وأغلظ الحدود، كما أن من الحكمة ظهور مقدار طاعة الأمة فى المسارعة إلى الامتثال بطريق الظن دون انتظار للقطع، كما سارع إبراهيم لذبح ولده بمنام - والمنام أدنى طريق للوحى. وقد أنكر جماعة هذا النوع من النسخ لأن الأخبار فيه أخبار آحاد، ولا يجوز القطع على إنزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها] .

وعلى رأى القائلين بنسخ القرآن والسنة اختلف فى درجة هذه السنة، فقال بعضهم : يشترط أن تكون متواترة لإفادتها اليقين، الذى يليق به نسخ القرآن اليقين، واكتفى بعضهم بخبر الآحاد العدول فى إفادة اليقين، ومن أى طريق يثبت النسخ؟ يثبت بالنص عليه، كقوله تعالى ﴿ **الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ** ﴾ [الأنفال:٦٦]

وقول النبى ﷺ : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها » كما يثبت بمعرفة تاريخ الحكم ليتميز السابق من اللاحق، ولا يثبت بقول عوام المفسرين ولا باجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة، لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات آخر تقرر فى عهد النبى ﷺ . يقول أبو جعفر النحاس فى كتابه « الناسخ والمنسوخ » : الناس فى النقل على طرفى نقيض، منهم من لا يقبل أخبار الآحاد العدول، ومنهم من يتساهل فيكتفى بقول مفسر أو مجتهد، وهما على خطأ، وكما يحكم بالنسخ بالنص عليه من النبى ﷺ يحكم بالنص عليه عن الصحابى، وذلك كله عند ثبوته توترا أو آحادا عدولا .

[فى قبول نسخ السنة للقرآن، الذى منعه البعض لعدم قطعيتها، أن السنة لم تعارض ثبوت النص القرآنى القطعى، لكنها تفسر المراد منه، ويكفى فيه الظن الغالب] .

* * *

آيـة الوصـيـة

قـال تعـالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقاً عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٨٠] يقول أبو جعفر النحاس فيها خمسة أقوال ملخصها :

١- من قال بنسخ القرآن بالسنة نسخها قوله ﷺ « لا وصية لوارث » .

٢- ومن قال : بنسخ القرآن بالقرآن قال نسخها قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء: ١١].

٣ - نسخت الوصية للوالدين، وثبتت للأقربين الذين لا يرثون .

٤- نسخ وجوب الوصية وبقى ندبها

٥- الوصية واجبة للوالدين والأقربين إذا كانوا لا يرثون، قال طاووس : من أوصى لأجنبى له أقرباء انتزعت الوصية فردت إلى الأقرباء، وقال الحسن: إذا أوصى رجل لقوم غرباء بثلثه وله أقرباء أعطى الغرباء ثلث الثلث ورد الباقى على الأقرباء. اهـ. وجاء فى بعض المصادر أن الوالدين يكونان غير وارثين إذا كانا كافرين أو عبدين .

جاء فى تفسير القرطبى ج٢ ص٢٥٩ وما بعدها : أن العلماء أجمعوا على أن الوصية واجبة على من عنده ودائع وديون، أما غيره فالأكثرون على عدم وجوبها وهو قول مالك والشافعى، موسرا كان أو فقيرا، وقالت طائفة بوجوبها لظاهر القرآن، ولحديث « ما حق امرئ مسلم له شىء يريد أن يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده » وفى رواية « ثلاث ليال » وأجاب غير الموجبين بأن الحديث رد الأمر إلى إرادة الموصى، فلا تلزم الوصية من لم يُردْها، قال

النخعى: مات رسول الله ﷺ ولم يوص، وقد أوصى أبوبكر، فإن أوصى فحسن وإن لم يوص فلا شيء عليه.

وذهب الجمهور إلى أنه لا تجوز الوصية بأكثر من الثلث إلا أبا حنيفة وأصحابه حيث قالوا: إن لم يترك ورثة جاز له أن يوصى بماله كله، فالاقتصار على الثلث لمن له ورثة يتركهم أغنياء خير من أن يتركهم فقراء كما فى حديث النبى لسعد. وروى هذا القول عن مالك فى أحد قوليه.

وأجمعوا على أن من مات وله ورثة لا يجوز أن يوصى بجميع ماله. وأجمعوا على أن للإنسان أن يغير وصيته ويرجع فيما شاء منها، ما عدا المدبَّر ففيه خلاف.

ثم قال القرطبى: اختلف العلماء فى هذه الآية هل هى منسوخة أو محكمة. وأورد قريبا مما سبق من الكلام. فقيل: إنها محكمة فى الوالدين والأقربين غير الوارثين، وقيل محكمة فى الجميع لمدة ثم نسخت بآية المواريث مع حديث الترمذى وهو حسن صحيح «إن الله قد أعطى لكل ذى حق حقه فلا وصية لوارث» فالنسخ بالسنة لا بالآية، على أصح الأقوال. ومع ذلك انضم إلى هذا الحديث الإجماع على عدم الوصية لوارث. وقيل نسخت للوالدين وثبتت للأقربين غير الوارثين، وقيل نسخ الوجوب وبقى الندب.

ثم قال عن المريض إنه لا يوصى بأكثر من الثلث وإن أجازها الورثة وذلك عند أهل الظاهر، أما الكافة فأجازوها إن أجازها الورثة وهو الصحيح. لحديث الدارقطنى «لا تجوز الوصية لوارث إلا أن يشاء الورثة».

س - أعمل مدرسا للقرآن واللغة العربية، ويوجد فى المنهج نصوص قرآنية يدرسها جميع الطلاب، ومنهم المسلم وغير المسلم، فهل يجوز لغير المسلم قراءة آيات أو حفظها ؟

جـ - قال العلماء: غير المسلم ليس مكلفا بفروع الشريعة وأحكامها، لأن

أصل الشريعة غير موجود عنده، وعليه فلا مانع من قراءته للقرآن وحمل المصحف ومسِّه بدون طهارة، ورأى بعضهم أن غير المسلم مكلف بالأصول والفروع، وسيحاسب عند الله على الإيمان وعلى التكاليف الشرعية، وعليه فلا يجوز له أن يقرأ القرآن أو يمس المصحف أو يحمله إذا كان غير طاهر، وما دام الأمر خلافيا فلا مانع من الأخذ بأحد الرأيين وبخاصة عند ظروف تدعو إلى ذلك.

وجاء فى تفسير القرطبى « ج١٧ ص٢٢٥ » فى كتاب الرسول ﷺ لعمرو ابن حزم الذى حمله إلى شرحبيل ... « ألا يمس القرآن إلا طاهر » وحادثة إسلام عمر بن الخطاب وقول أخته: لا يمسه إلا المطهرون، فاغتسل وأسلم . وقال الكلبى: لا يمسه إلا المطهرون من الشرك . وقيل : يمسه يقرؤه. وكان ابن عباس ينهى أن يمكَّن أحد من اليهود والنصارى من قراءة القرآن. وفى ص٢٢٧ : روى عن الحكم وحماد وداود بن على أنه لا بأس بحمله ومسه للمسلم والكافر طاهرا أو محدثا، إلا أن داود قال: لا يجوز للمشرك حمله. واحتجوا فى إباحة ذلك بكتاب النبى ﷺ إلى قيصر، وهو موضع ضرورة فلا حجة فيه . ا هـ

وفى أخبار الجمعه ١١ / ٥ / ١٩٩١م رأى لبعض علماء العصر بالجواز إن حافظ عليه من الإهانة، مع التغاضى عن شرط الطهارة .

س - هل يجوز رفع الصوت بقراءة القرآن إذا كان يؤذى غيره ؟

جـ - جاء فى المجلد الأول من الفتاوى الرسمية ص٥٢ أن الشيخ محمد عبده أفتى بأنه إذا كان رجل يكتب الفقه وبجانبه رجل يقرأ القرآن ولا يمكن للكاتب استماع القرآن فالإثم على القارئ، وعلى هذا لو قرأ على السطح والناس نيام يأثم لأن ذلك يكون سببا لإعراضهم عن السماع أو لأنه يؤذيهم بإيقاظهم - وقالوا: إنه يجب على القارئ احترام القرآن، بألا يقرأ فى الأسواق ومواضع الاشتغال، فإذا قرأه فيها كان هو المضيع لحرمته فيكون الإثم عليه دون أهل الاشتغال، دفعا للحرج.

س - هل يجوز للإنسان أن يضع فى كلامه شيئا من القرآن يقتضيه المقام ولا ينسبه إلى الله بل ينسبه إلى نفسه، مثل أن يقول المظلوم فى ظالمه «حسبى الله ونعم الوكيل» ؟

جـ - تحدث السيوطى فى «الإتقان ج١ ص١١١» عن الاقتباس الذى هو تضمين الشعر أو النثر بعض القرآن، لا على أنه منه بألا يقول فيه : قال الله تعالى ونحوه فإن ذلك حينئذ - أى إن قال قال الله - لا يكون اقتباسا . وقد اشتهر عن المالكية تحريمه وتشديد النكير على فاعله . وأما أهل مذهبنا - أى الشافعية - فلم يتعرض له المتقدمون ولا أكثر المتأخرين مع شيوعه فى أعصارهم . وقد تعرَّض له جماعة من المتأخرين، فأجازه الشيخ عز الدين بن عبدالسلام، استدلالا بما ورد عن النبى ﷺ من قوله فى الصلاة وغيرها «وجّهت وجهى» إلخ وقوله: ﴿ **فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً** ﴾ [الأنعام:٩٦]، اقض عنى الدين وأغننى من الفقر . وفى سياق كلام لأبى بكر «وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون» وفى حديث آخر لابن عمر «قد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة» انتهى .

وهذا دليل على جوازه فى الوعظ والثناء والدعاء فى النثر، ولا دلالة فيه على جوازه فى الشعر، وبينهما فرق، فصرَّح أبوبكر من المالكية بكراهته فى الشعر، واستعمله أيضا فى النثر القاضى عياض. قال ابن المقرى: الاقتباس ثلاثة أقسام: مقبول ومباح ومردود، فالأول ما كان فى الخطب والمواعظ، والثانى ما كان فى الغزل والقصص، والثالث على ضربين، أحدهما ما نسبه الله إلى نفسه - ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه، كما قيل عن أحد بنى مروان أنه وقَّع على مطالعة فيها شكاية عماله ﴿ **إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ** ﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦] والآخر تضمين آية فى معنى هزل، ونعوذ بالله من ذلك كقوله :

أرخى إلى عشاقه طرفه هيهات هيهات لما توعدون
وردفه ينطق من خلفه لمثل هذا فليعمل العاملون

وارتضى السيوطى هذا التقسيم. ثم ذكر حوادث من ذلك عن أئمة أجلاء.

وقد لخص الزرقانى فى شرح المواهب اللدنية « ج١ ص٢٥ » هذه الآراء فقال: إن الاقتباس جائز عند المالكية والشافعية باتفاق، غير أنهم كرهوه فى الشعر خاصة، وذكر أسماء الأئمة الذين أجازوه، وهذه حجة على من يزعم أن مذهب مالك يحرمه، وأن أئمة الشافعية مجمعون على جوازه، ومن ادعى أنهم حرموه فهو كاذب، وقد أشير إلى الحكم فى كتاب « فتاوى وأحكام للمرأة المسلمة » هذا، وقد سمعنا أن بعض النساء قديما كانت تحفظ القرآن كله وتقتبس منه وتتعامل مع الناس به، وهى مذكورة فى كتاب « فتاوى وأحكام للمرأة المسلمة ».

س - ما حكم الدين فى التدخين وتناول الشاى والقهوة أثناء تلاوة القرآن الكريم ؟

جـ - صح أن القرآن إذا قرئ نزلت الملائكة تستمع إليه، وجاء النص على ذلك فيمن يجتمعون فى بيت من بيوت الله يقرءون القرآن ويتدارسونه فيما بينهم، كما جاء النص فى حديث رواه مسلم على أى اجتماع فى أى مكان يذكر فيه الله، ولا شك أن أفضل الذكر كلام الله تعالى، وصح أيضا أن الملائكة تنفر من الروائح الكريهة، ففى حديث مسلم النهى عن قربان المسجد لمن أكل ثوما أو بصلا، لأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الناس .

ومن المعلوم أن رائحة الدخان يتأذى منها الناس، وبالتالى تتأذى الملائكة، والنتيجة عدم حضور الملائكة لمجالس القرآن التى يشرب فيها الدخان، فالتدخين فى مجالس القرآن فيه عدة أخطاء، منها طرد الملائكة الذين يحبون الرائحة الطيبة، وحرمان المجلس من رحمة الله وسكينته التى تنزل مع هؤلاء الملائكة، والإضرار بالكثيرين الذين يتأذون برائحة الدخان، وذلك إلى جانب مخالفة قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾[الأعراف: ٢٠٤].

ويستوى التدخين فى هذا الحكم مع شرب الشاى والقهوة أثناء تلاوة القرآن، حيث لا يتحقق الاستماع والإنصات المؤديان إلى التذكر والاعتبار، والمحققان لمظهر من مظاهر احترام القرآن .

وجمهور الفقهاء على أن الإنصات للقرآن المأمور به فى الآية يكون واجبا على المأموم فى الصلاة وعلى المستمع لخطبة الجمعة، ويكون مندوبا فى غير ذلك فى مثل مجالس التلاوة فى المناسبات وغيرها .

أما حكم التدخين فله رسالة خاصة طبعت مع مجلة الأزهر، فيرجع إليها .

س - لماذا يذكر قُرَّاء القرآن كلمة «الفاتحة» بعد ختم القراءة، وهل هى واجبة ؟

جـ - دعوة قارئ القرآن بعد انتهاء قراءته أن يقرأ السامعون الفاتحة ليست واجبة، وإنما هى دعوة للمشاركة فى قراءة أى قرآن وهبة ثوابه إلى الميت الذى قرئ القرآن بمناسبة العزاء فيه، أو قراءتها والدعاء بعدها بما قرئ القرآن لمناسبته كاجتماع للصلح أو عمل مشروع خيرى أو غير ذلك .

واختيار الفاتحة بالذات لأنها السبع المثانى وأعظم سورة فى القرآن كما صح فى حديث البخارى، وجاء فى رواية لمسلم أنها وخواتيم سورة البقرة نوران لم يؤتهما نبى من قبل سيدنا محمد، وقال له الملك «لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته» .

س - هل كان النبى ﷺ يقرأ سورة معينة فى الركعة الثانية من صلاة الفجر ؟

جـ - فى سور القرآن ما يسمى بالمفصَّل، وهو من الحجرات إلى آخر المصحف عند الأئمة الثلاثة، ومن سورة ق إلى الآخر عند أحمد، وفى سور المفصل طوال وأوساط وقصار، ويُسنُّ فى صلاة الصبح قراءة الطوال من المفصل عند الأئمة

الأربعة، وإن اختلفوا فى نهاية الطوال، فعند أبى حنيفة إلى سورة البروج، وعند الحنابلة والشافعية إلى سورة النبأ ﴿ **عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ** ﴾ [النبأ:١] وعند المالكية إلى آخر سورة النازعات، والقارئ مخير فى قراءة أية سورة ولا يلتزم سورة معينة، لا فى الركعة الأولى ولا فى الركعة الثانية .

وروى مسلم عن جابر بن سمرة أن النبى ﷺ كان يقرأ فى الفجر بسورة ق والقرآن المجيد ونحوها، وكانت صلاته بعد إلى تخفيف، ومعنى ذلك أنه كان يطيل القراءة فى صلاة الصبح ويخفف فى غيرها كما رواه أبو داود . وجاء فى رواية أحمد والنسائى أنه كان يقرأ فى الغداة - أى صلاة الصبح - بطوال المفصل . يقول الشوكانى « نيل الأوطار ج٢ ص٢٣٩ » إن لفظ (كان) يفيد الاستمرار وعموم الزمان، ويحمل قول جابر على أن النبى ﷺ كان يقرأ فى الفجر بسورة (ق) على الغالب فى أحواله، لأنه ثبت أنه قرأ مرة سورة ﴿ **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ** ﴾ [التكوير:١] كما عند الترمذى والنسائى . وصلى الصبح بمكة واستفتح بسورة (المؤمنون) كما عند مسلم، وقرأ بالطور كما عند البخارى، وقرأ سورة الروم كما عند النسائى .

يؤخذ من هذا أن الرسول ﷺ لم يلتزم قراءة سورة معينة فى صلاة الصبح، لا فى الركعة الأولى ولا فى الركعة الثانية .

س - هل يجوز أن يقرأ الإنسان «قل هو الله الواحد» بدل «قل هو الله أحد» ؟

جـ - الله هو الواحد وهو الأحد، ولا يجوز مطلقا أن نغير لفظا من القرآن ونضع مكانه لفظا آخر حتى لو كان بمعناه أو قريبا من معناه، فالقرآن منقول لنا بلفظه ومعناه لا يجوز تغيير شىء منه، وقد نزلت سورة الإخلاص بلفظ « قل هو الله أحد » فلا يجوز تغييره مطلقا، فالتغيير يدخل تحت قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ** ﴾ [النحل:١١٦].

س - هل يثاب الإنسان عند الله على قراءة القرآن وحفظه بمثل قراءته للقرآن فقط ؟

جـ - مجرد قراءة القرآن له ثواب بكل حرف عشر حسنات كما وردت بذلك الأحاديث، والحفظ مرتبة زائدة على مجرد القراءة وله ثواب آخر، وقد جاء فى الحديث أن صاحب القرآن يرتقى فى درجات الجنة بمقدار ما يقرأ، وليس هناك مصحف يقرأ فيه، فالمدار على الحفظ « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ورتّل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » رواه أبو داود والترمذى وقال : حسن صحيح .

س - هل يجوز أن يقرأ الإنسان الفاتحة أو غيرها ويقول : زيادة فى شرف النبى ﷺ ؟

جـ - إلى جانب ما ذكرته فى فتاواى جاء فى شرح الزرقانى للمواهب اللدنية « ج٥ ص٤٠٨ » ما خلاصته : إهداء القراءة إلى الرسول لا يعرف فيه خبر ولا أثر، بل أنكره جماعة منهم الشيخ برهان الدين بن الْفِرْكاح، لأن الصحابة لم يفعله أحد منهم. لكن اختار السبكى وغيره خلاف ذلك. وكذا أنكر البرهان القرارى قولهم: اللهم أوصل ثواب ما تلوته إلى فلان خاصة، وإلى المسلمين عامة. لأن ما اختص بشخص لا يتصور التعميم فيه. وردَّه الزركشى بأن الظاهر خلاف ما قاله، فإن الثواب يتفاوت، فأعلاه ما خصه، وأدناه ما عمه وغيره، والله تعالى يتصرف فيما يعطيه من الثواب. على أن المراد: مثل ثواب ما تلوته لفلان خاصة ومثل ذلك للمسلمين عامة، وهذا متصور، وحكى صاحب الروح الشمس ابن القيم: أن من الفقهاء المتأخرين من استحبه، ومنهم من رآه بدعة مذمومة، قالوا: والنبى ﷺ غنى عن ذلك، لكن ليس فى كونه غنيا ما يقتضى منع ذلك، بل يجوز أن يكون إهداؤها سببا فى ثواب يصل إليه زائدا على الثواب الواصل له من كل خير عملته أمته، وأن له أجر كل من عمل خيرا من أمته، من غير أن

ينقص من أجر العامل شيء، لحديث مسلم وأصحاب السنن «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا . ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا».

ومن ثَمَّ قال الشافعي: ما من خير يعمله أحد من أمة النبي ﷺ إلا والنبي ﷺ أصل فيه، لأنه إنما عمل بإرشاده. قال الزين المراغي المحدث في كتابه «تحقيق النصرة» : فجميع حسنات المسلمين وأعمالهم الصالحة في صحائف نبينا ﷺ زيادة على ما له من الأجر، مع مضاعفة لا يحصرها إلا الله تعالى، لأن كل مهتد وعامل إلى يوم القيامة يحصل له أجر ويتجدد لشيخه مثل ذلك الأجر، ولشيخ شيخه مثلاه، وهكذا تضعيف كل مرتبة بعدد الأجور الحاصلة بعده إلى النبي ﷺ . وبهذا تعلم تفضيل السلف على الخلف . . . . وبهذا يجاب عن استشكال دعاء القارئ له ﷺ بزيادة الشرف، مع العلم بكماله عليه الصلاة والسلام في سائر أنواع الشرف، فكأن الداعي لحظ أن قبول قراءته يتضمن لمعلمه نظير جزء وهكذا حتى يكون للمعلم الأول وهو الشارع ﷺ نظير جميع ذلك، ومن ذلك ما شرع عند رؤية الكعبة من قول الرائي : اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما، وهذا كما قالوا في الصلاة عليه : زاده الله شرفا . أشار إلى نحوه الحافظ ابن حجر .

س - ما المقصود بالأساليب الاستفهامية المتعددة في القرآن الكريم ؟

جـ - الاستفهام في اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم يعني طلب الفهم، وهو بمعنى الاستخبار، وأدواته كثيرة، منها : الهمزة، هل، مَنْ، أيّ، كم، كيف وغيرها .

وقد تستعمل صيغة الاستفهام في غير معناه - وهو طلب الفهم - وقد ألّف في ذلك شمس الدين بن الصائغ كتابا سماه «روضة الأفهام في أقسام

الاستفهام» ذكر فيه اثنين وثلاثين قسما تحدث عنها السيوطى فى كتابه «الإتقان فى علوم القرآن» منها : الإنكار، وهو يفيد النهى مثل «فهل يهلك إلا القوم الفاسقون» أى لا يهلك إلا الفاسقون . ومنها التوبيخ، مثل «أفعصيت أمرى» ومنها التعجب، مثل «كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم» وغير ذلك كثير يرجع إليه فى الكتاب المذكور.

س - ما هو فضل قراءة سورة يس ؟

جـ - جاء فى فضل قراءتها حديث رواه أحمد وأبو داود والنسائى والحاكم وصححه، وهو «قلب القرآن يس، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له، اقرءوها على موتاكم» وحديث رواه الترمذى وقال : حديث غريب، أى رواه راوٍ واحد فقط وهو «من قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات دون يس» وحديث رواه مالك وابن السنى وابن حبان فى صحيحه، وهو «من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له» .

س - ما هو السبب فى نزول سورة «عبس» ؟

جـ - نزلت توجيها للنبى ﷺ فى الحدِّ من إتعاب نفسه بحرصه على إسلام المشركين واهتمامه بدعوتهم، عندما جاء الضرير عبد الله ابن أم مكتوم يسأله عن شىء فى الدين، فرأى الرسول أن الأولى دعوة المشركين عسى الله أن يهديهم إلى الإيمان فيؤمن معهم غيرهم ممن لهم سلطان عليهم . وليس ذلك احتقارا لابن أم مكتوم «انظر كتابنا : المصطفون الأخيار» .

س - ماذا يعنى أن قراءة سورة الإخلاص كقراءة ثلث القرآن ؟

جـ - قراءة «قل هو الله أحد» تعدل فى ثوابها ثلث القرآن جاءت بها أحاديث رواها البخارى وغيره، وقال الشراح فى حكمة ذلك : إن القرآن احتوى على ما يخص العقيدة، وما يخص الشريعة، وما يخص القصص، وهذه السورة اقتصرت على العقيدة فقط، فكانت تعدل ثلث القرآن فيما حواه، وجاء فى

تفسير القرطبى أن بعض العلماء علّل ذلك بوجود هذا الاسم فيها وهو «الصمد» فإنه لا يوجد فى غيرها من السور، وكذلك «أحد». وقيل: إن القرآن أنزل أثلاثا، ثلثا منه أحكام، وثلثا منه وعد ووعيد، وثلثا منه أسماء وصفات، وقد جمعت «قل هو الله أحد» أحد الأثلاث، وهو الأسماء والصفات. ويدل على هذا التأويل ما فى صحيح مسلم من حديث أبى الدرداء عن النبى ﷺ «إن الله عز وجل جزَّأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل «قل هو الله أحد» جزءا من أجزاء القرآن» وهذا نص، وبهذا المعنى سميت سورة الإخلاص.

وثبت فى صحيح البخارى أن بعض الصحابة كان يحرص على قراءتها فى كل الصلوات بعد الآيات التى يقرؤها، فلم ينكر عليه النبى ﷺ ذلك وأكَّد له ثوابها.

س - أرجو تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨] ؟

جـ - هذه الجملة فقرة من آية سبقتها تتحدث عن عجيب صنع الله فى السموات والأرض، من إنزال المطر من السماء، وإخراج النبات المختلف الألوان، وطبقات الأرض بألوانها ومعادنها وأحجارها، واختلاف الناس والحيوانات فى الأحجام والألوان والاستعدادات وغيرها، والذين ينظرون فى هذه العجائب نظرة تأمل هم العلماء بأسرارها من رجال الفلك والطبيعة والكيمياء والنبات والجيولوجيا والأطباء والمؤرخين وعلماء الحياة بوجه عام، ولذلك إذا كانوا منصفين انتهوا إلى الإيمان، وإذا كانوا مؤمنين زاد إيمانهم عمقا ورسوخا، ولذلك هم يخشون الله أن يخالفوه فيعاقبهم، فإن الخشية لا تكون إلا ممن له هيبته وعظمته وقدرته، والعلماء هم الذين أدركوا عظمة الله عن طريق تخصصاتهم المختلفة، ولذلك يخشونه، ومن هنا أمر الله بالنظر فى الكون والتدبر والتفكر، وقد يساعد على ذلك قراءة كتاب «الله يتجلى فى عصر العلم».

هذا، والقراءة الصحيحة للآية هى بنصب لفظ الجلالة «**اللهَ**» ورفع لفظ «**العلماءُ**» فالعلماء هم الذين يخشون الله . أما ما يقرؤه البعض من رفع اسم الجلالة ونصب لفظ العلماء يجعلهم يستغربون كيف يخشى الله من العلماء ويخاف منهم، والأمر ليس كذلك، ولا داعى للتأويل لصحة هذا النطق .

س - أرجو تفسير قوله ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ﴾ [المائدة:١٠٣] ؟

جـ - البحيرة هى الناقة التى يخصص لبنها للأصنام، أو الناقة المشقوقة الأذن، والسائبة هى الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهم ذكر، لم يركب ظهرها ولم يُجَزَّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شَقَّت أذنها وخُلِّى سبليها مع أمها، فهى البحيرة ابنة السائبة . وقال الشافعى: إذا نتجت الناقة خمسة أبطن إناثا بُحِرَتْ أذنها فحرمت .

والوصيلة والحام، كان أهل الجاهلية يعتقون الإبل والغنم يسيبونها، فأما الحام من الإبل كان الفحل إذا انقضى ضرابه جعلوا عليه من ريش الطواويس وسيَّبوه. وأما الوصيلة فمن الغنم إذا ولدت أنثى بعد أنثى سيَّبوها. وقيل: إن الوصيلة هى الشاة إذا ولدت سبعة أبطن نظروا فإن كان السابع ذكرا ذبح وأكل منه الرجال والنساء، وإن كان أنثى تركت فى الغنم، وإن كان ذكرا وأنثى قالوا: وصلت أخاها فلم تذبح لمكانها، وكان لحمها حراما على النساء. ولبن الأنثى حراما على النساء إلى أن يموت منهما شىء فيأكله الرجال والنساء، والحامى هو الفحل إذا ركب ولد ولده، وقيل: إذا نتج من صلبه عشرة أبطن يقال: حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلأ وماء. تفسيرات مختلفة لهذه الأشياء ملئت بها الكتب، وخلاصتها أن أهل الجاهلية كانوا يحرّمون بعض الحيوانات المأكولة حسب هواهم ومواضعاتهم دون وحى من الله، فأبطل الإسلام كل هذا. لأن ختام الآية ﴿ **وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾ [المائدة:١٠٣].

س - لماذا فزع الصحابة عند قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ﴾ [البقرة:٢٨٤] ؟

جـ - فى صحيح مسلم عن ابن عباس، لما نزلت هذه الآية دخل قلوب الصحابة منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء - يعنى شيء كبير - فقال ﷺ: «قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا» فألقى الله فى قلوبهم الإيمان، وأنزل ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾ [البقرة:٢٨٦] قال: قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا إِصْرًا كما حملته على الذين من قبلنا. قال: قد فعلت، «ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين» قال: قد فعلت، فلما فعلوا ذلك نسخها الله ثم أنزل «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها».

وقد اختلف المفسرون فى نسخ هذه الآية ﴿ **وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ** ﴾ [البقرة:٢٨٤] أو عدم نسخها ورجح الطبرى أنها محكمة، وقال ابن عطية: هو الصواب، لأن المحاسبة تكون على ما فى وسع الإنسان وتحت كسبه. والخواطر ليست مرادة، ودفعها ليس فى الوسع، بل هو أمر غالب. وهو يتفق مع الحديث «إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به نفسها ما لم تعمل أو تتكلم».

الرسل

س - ما هى الحكمة فى أن يكون الرسل من البشر وليسوا من الملائكة مثلا؟

جـ - الرسل المبلغون عن الله إلى المكلفين إما ملائكة وإما إنس وإما جن، أما الملائكة فلا يمكنهم أن يقوموا بالرسالة لعدم التوافق بينهم وبين من يرسلون إليهم، وجاء النص على ذلك فى قوله تعالى: ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً** ﴾ [الإسراء:٩٥] وذلك بعد قول الكافرين: ﴿ **أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً** ﴾ [الإسراء:٩٤] وقوله: ﴿ **وَقَالُوا**